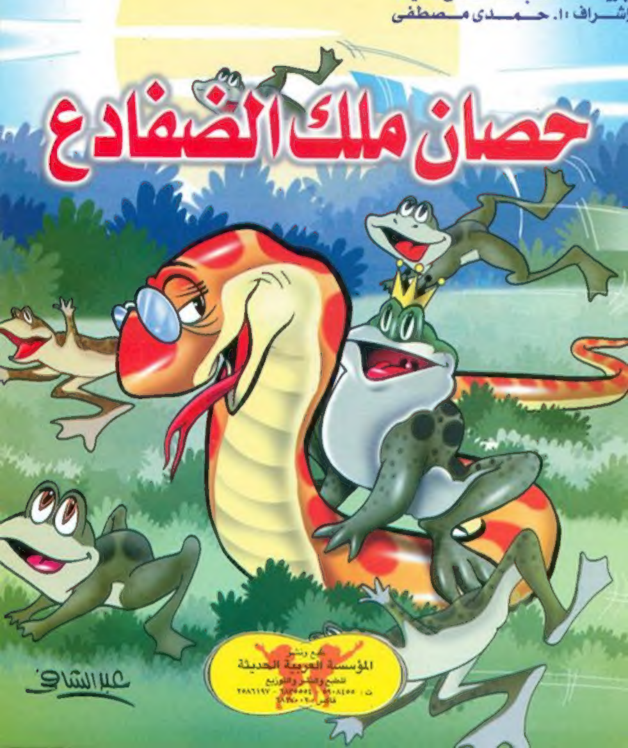
حكايات كليلة ودمنة

14

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة: أ. عبد الشافى سيد
إشراف: أ. حمدى مصطفى



كانَ الثُّعْبانُ فى شبَابِه وقوَّتِه يجُوبُ الْغَديرَ طُولاً وعَرْضًا بحْثًا عنْ صَيْدِه منَ الأَسْماكِ والضَّفادعِ ، وكانَ يظْفَرُ بصَيْدٍ وافرٍ فى كلِّ مرَّةٍ .. وهكَذا عَاشَ حياتَهُ ..

ولكنَّ الأَيامَ مَرتْ بصَيْدِها الْوفيرِ ، وجاءَ على الثعْبانِ يومٌ كبرَتْ فيهِ سنُّهُ ، وضَعُفَ فيه بصَرُه ، فأَصبَحَ عاجِزًا عنِ الصَّيدِ ومُطارَدَةِ الْفرائِس ، لدرجَةِ أَنَّهُ كادَ يهلِكُ منَ الجُوعِ ، فزادَ ذلكَ مِنْ ضعْفِ قوَّتِهِ ..

وفِى غَمْرَةِ حُزْنِه تذكرَ الثُّعْبانُ برْكَةً مَليئَةً بالضَّفادعِ كانَ يزورُها أَيَّامَ شبَابهِ وقوَّتِه ، فيصيدُ منْها ما يشَاءُ ، ولذلكَ واتَتْهُ فكْرَةٌ ، فقرَّرَ أَنْ ينفِّذَها فى الحَالِ ، فربُما كانَ فيها نجَاتُهُ منَ المْوتِ جُوعًا ..





توجَّهَ الثُّعْبانُ إلى بِرْكَةِ الضفادعِ ، وجلسَ قريبًا مِنْها ، مُتظاهِرًا بالحُزْنِ والْكآبةِ .. وبعْدَ قليلٍ رآهُ ضِفْدَعٌ ، فقالَ لهُ :

ـ مالى أراكَ أيُّها الثُّعْبانُ تجلسُ هكذا حَزِينًا كئيبًا على غيْرِ عادَتِكَ ؟!

ففكَّرَ الثعْبانُ قليلاً ، ثمَّ قالَ فِى مَكْرٍ ودَهاءٍ :

ـ ولماذا لا أحْزَنُ وأُصَابُ بالكآبَةِ ، وقدْ كانَ أكثرُ صيْدِى وطعَامى منَ الضَّفادعِ ، أُصيبُ منْها ما أشاءُ فى أىِّ وقْتٍ منَ الليلِ أوِ النهارِ ..

فقالَ الضِفْدَعُ :

ـ هذا معلومٌ للْجميعِ ، فماذا جدَّ الآنَ حتى تُصابَ بالحُزْنِ والْكآبةِ هكذا ؟!

فقالَ الثعْبانُ فى مكْرٍ ودَهاءٍ :

ـ لقدِ ابْتُليتُ بِداءٍ حَرَّمَ علىَّ أَكْلَ الضفادعِ بسَبَبِهِ ، لدرجَةِ أَنَّنى إن التَقَيْتُ بِبَعْضها لا اقْدرُ على صَيْدِه ، ولا أَستطيعُ الإمساكَ به ..

فقالَ الضِّفْدِعُ فى فرَحٍ :

ـ هذا أسْعَدُ خبَرٍ سمِعْتُه فى حيَاتى كُلِّها ..

وانْطلقَ الضفْدَعُ إلى ملكِ الضَّفادع سَعيدًا ، فبشَّرَهُ بما سَمِعَهُ منَ الثُّعْبانِ ، وقالَ لهُ إنَّهُ تابَ عنْ صيْدِ الضَّفادع ..

ولمْ يصدِّقْ ملكُ الضَّفَادع ما سمِعَهُ عنِ الثعْبانِ ، فانْطلقَ إليهِ فى حشْدٍ



منَ الضِّفادعِ ، ليتَحقَّقَ منْ صدْقِ ما سَمِعَهُ .. ولمَّا أصبحَ ملكُ الضِّفادعِ قريبًا منَ الثُّعْبانِ خاطبَهُ قائِلاً :

ـ هلْ حقًا ما سمِعْتُه عنْكَ يا ثُعْبانُ منْ أنَّكَ قدْ تُبْتَ عنْ صَيدِ الضِّفادعِ ؟!

فقالَ الثعْبانُ :

ـ نعمْ ..

فقالَ ملكُ الضِّفادعِ ، وهو غيْرُ مصدِّقٍ ما سمعَ :

ـ هذهِ أعْجوبةُ الأعاجيبِ .. قلْ كلامًا معْقولاً ،

حتى أُصَدِّقَهُ ..



فقالَ الثعْبانُ :

- أُقْسِمُ لكَ إنَّ ذلكَ صحيحٌ .. لقدْ تُبْتُ عنْ صَيْدِ الضَّفادعِ ..

فقال ملكُ الضَّفادع :

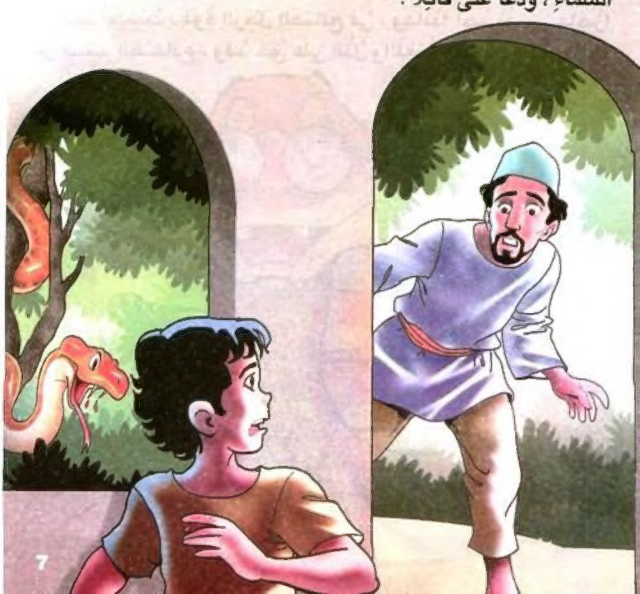
- وكيفَ كانَ ذلكَ ؟! أَقْصِدُ كيفَ هبطَتْ عليْكَ هذهِ التَّوْبَةُ الْمُفَاجِئَةُ ؟!

فـأَطْلَقَ الثـعْبـانُ تَنْهيـدَةً عمـيقَـةً .. ثمَّ أَخـذَ يحْكِي له هذهِ الْحكايَةَ الْمُلَفَّقَةَ ، فقالَ :

- حـدَثَ ذلكَ مُنْذُ عِـدَّةِ أَيَّامٍ .. كانَ الْوَقْتُ لَـيْلاً ، وقدْ رأيْتُ ضِفـدَعًا ، وأَرَدْتُ صيْدَه ، لكنَّ الضِّفْدعَ الْمَاكِرَ قفزَ مِنِّي ، فَجريْتُ خلْفَه وأنا مُصِرٌّ على صَيْدِهِ ..



وظلَّ الضفدعُ يُراوغُنى ، حتى دخلَ بيْتَ رجلٍ تَقِىٍّ صالحٍ ، فدخَلْتُ خلْفهُ ، واخْتَبأَ الضفْدعُ مِنِّى فى غُرْفةِ ابْنِ الرجُلِ الصَّالح ، وكانَتِ الْغُرْفَةُ مظْلِمَةً ، فعثرتُ بإصْبعِ ابْنِ الرجُلِ الصَّالح ، فلدَغْتُهُ لدْغَةً قويَّةً ، وأنا أَظُنُّ أنَّهُ الضفْدَعُ ، فصرخَ الطفْلُ متألِمًا ، فحضَرَ أبوهُ مسْرعًا ومعَهُ قِنْديلٌ ، فلمَّا رأيتُهُ لُذْتُ بِالْفرارِ قبْلَ أنْ يتمكَّنَ مِنِّى ويقْتُلَنى .. ورآنى الرجُلُ الصَّالحُ فأسْرعَ خلْفى ليُمْسِكَ بى ، لكنَّنى كنْتُ أسْرعَ مِنْه ، فوقَفَ الرجُلُ ينْظُرُ إلىَّ حزينًا على ابْنِه ، الذى آلَمْتُهُ ثم نظَرَ إلى السَّماءِ ، ودعَا علىَّ قائِلاً :



كما لدغْتَ ابْنِى الْبرِىءَ وآذيْتَهُ ظلمًا وعُدْوانًا ، فأنا أدعُو عليْكَ أَنْ تذِلَّ ، وتَصيرَ مركبًا لملِكِ الضفادع يركَبُكَ ويُجَوِّلُ بكَ حيْثُ يشاءُ على الأرْضِ وفى الْماءِ .. وأدعو عليْكَ أيْضًا أنْ تصْبحَ عاجزًا غيرَ قادرٍ على صيْدِ الضفادع ، فلا تستطيعُ الإمْساكَ بضفدِعَةٍ ولا أكْلَها إلا ما يتصدَّقُ به عليكَ ملكُ الضَّفَادعِ ..

وسكتَ الثعْبانُ قليلاً .. ثمَ أخذَ يذْرِفُ دمُوعَ الألَمِ والْحسْرَةِ ، وقالَ فى تأثرٍ مُصْطَنَعٍ :

ـ لقدْ أُجيبَتْ دعْوةُ الرجلِ الصالح فىَّ ، وهأنذا أجدُ نفْسِى عاجزًا عنْ صيدِ الضفَادعِ ، وقدْ حقَّ علىَّ الذُّلُّ واللعْنةُ ، فجئْتُ إليكَ طائعًا



صاغرًا ذَليلاً ، لتركَبَنى كيْفَ تشاءُ ، على الأرْضِ وفى الْماء ..

فلمَّا سمعَ ملكُ الضَّفادعِ ذلكَ شعَر بالْفَخْرِ والرِّفْعَةِ والْمجْدِ .. وهلْ هناكَ شَرفٌ أوْ فخرٌ ، ورِفْعَةٌ ومَجْدٌ أكثرُ منْ أنْ يُذِلَّ اللّهُ للْمَرْءِ عدُوَّهُ ، فيصيرَ جَوادَهُ الذى يرْكَبُه ويتنزَّهُ به فى أىِّ مكان ؟!

وتقدَّمَ ملكُ الضفادعِ منَ الثعْبانِ ، فامْتطَى ظَهْرَهُ ، وأخذَ الثعْبانُ يجُولُ به كالْجوَادِ الْمرَوَّضِ الْمطيعِ لصاحِبِهِ تارةً فوْقَ سطْحِ الأرْضِ ، وتارَةً فى الْماءِ ..

ولما رَأى النَّاسُ ذلك ، راحوا يتعجَّبونَ ويُشيرُونَ إلى ملكِ الضَّفادع فوْقَ ظهْرِ الثعْبانِ قائِلينَ :

- انْظرُوا إلى ملكِ الضَّفادعِ ، وهو مُمْتَطٍ ظهْرَ عدُوِّهِ .. حقًا ما أرْوَعَه .. حقًا ما أشْجَعَهُ .. ياله منْ مَحظوظٍ ..



وكانَ الثُّعبانُ ينصِتُ إلى الناس في ذُلٍّ حَقيقيٍّ ، لكنهُ احْتملَ ذُلَّهُ وإهانَتَهُ منْ أجْلِ شيءٍ أهمّ خطّطَ لهُ بمَكْرٍ ودَهاءٍ .. منْ أجلِ أنْ يجدَ لقْمَتَهُ .. أنْ يعيشَ ، ولا يموتَ جوعًا بسَبَبِ عجْزِهِ عَنِ الصيْدِ ..

وفى الْيومِ التَّالى ركبَ ملكُ الضّفادعِ جوَادَهُ وقامَ بجَوْلةٍ تفقُّديَّةٍ على سُكانِ مملَكَةِ الضّفَادعِ .. ورأى الثعْبانُ الضّفَادعَ الْكثيرةَ تتقافزُ حوْلَهُ ساخِرةً منْه ، وغيرَ عابئَةٍ به أوْ خائِفَةٍ منْه - كما كانَ يحدُثُ فى الْماضِى الْقريبِ - فبَطأَ منْ سُرْعتِه وسارَ يترنَّحُ يمينًا وشِمالاً فى إعْياءٍ ظاهرٍ .. ولاحظَ ملكُ الضفادعِ ذلكَ ، فنظرَ إلى جوَادِه الثعْبانِ ، وقالَ مستَنْكرًا :

- ما لى أراكَ قدْ أبْطأْتَ منْ سُرْعتِكَ ، وأخذْتَ تسيرُ مُترنِّحًا ؟



هلْ أصابكَ الإعياءُ والتَّعَبُ ؟! إنَّ هذا لا يَليقُ بجوَادِ مَلِكِ الضَّفادعِ ..

فقالَ الثعْبانُ فى نَبْرةٍ مؤثِّرةٍ ، حتى يستدِرَّ عَطْفَ ملكِ الضَّفادعِ :

ـ قدْ علمتَ أيها المْلكُ أنَّ دَعْوةَ الرجلِ الصالحِ قدْ تحققَتْ فىَّ ، وأنَّنى صِرْتُ مَحْرومًا عاجزًا عنْ صَيْدِ الضفادعِ .. إذا استمرَّ الْحالُ على ذلك فسوفَ أهْلِكُ منَ الْجوعِ .. سوفَ أموتُ ، وساعَتَها لنْ تجِدَ ما تركَبُهُ .. لنْ يكونَ لكَ جوادٌ مُطيعٌ مِثْلى تفخَرُ به على أهْلِ ممْلكَتكَ ..

ففكَّرَ ملكُ الضفادعِ فى كلام الثعْبانِ قليلاً .. ثمَّ قالَ :

ـ صدَقْتَ أيُّها الْجوادُ الْمُطيعُ .. لو هلكْتَ فلَنْ يكونَ لى جوادٌ مثْلُكَ أبدًا .. والآنَ ماذا تقْتَرِحُ حلاً لهذهِ الْمَسْألةِ ؟!

فقالَ الثُّعْبانُ فى دهَاءٍ :

ـ اجْعَلْ لى أيها الْملكُ رزقًا أعيشُ به ..



فقالَ ملكُ الضفادِع :

- نعمْ .. لا بُدَّ أنْ أوَفِّرَ لكَ طعامًا فى كلِّ يومٍ .. هلْ يكْفيكَ ثلاثةُ ضفادعَ كلَّ يوْمٍ .. واحدٌ لإفْطارِكَ ، وواحدٌ لِغَدائِكَ ، وواحدٌ لعَشائِكَ ؟!

كادَ الثُّعبانُ يطيرُ مِنَ الْفرحِ ، وهو لا يصدِّقُ ما يسْمَعُ ، وقالَ لِملكِ الضفادعِ :

- هذا رزقٌ وافرٌ .. أكثرُ ممَّا كُنْتُ أحْلُمُ أنْ أصيدَهُ لوْ لمْ تتحقَّقْ فىَّ دعْوَةُ ذلكَ الرجلِ الصَّالحِ ..

وأمَرَ ملكُ الضفادعِ بأنْ يقدِّمَ للثعْبانِ ثلاثةَ ضفادعَ كلَّ يوْمٍ ..

وهكذا احْتالَ الثعْبانُ ، ليَعيشَ ، بعْدَ أنْ ضَعُفَتْ قُوَّتُه وبصرُهُ ، وأصبحَ عاجزًا عنِ الصيْدِ ، ولمْ يضرُّهُ الْخضوعُ لِعَدُوِّه ، بلْ نَفَعَهُ ..

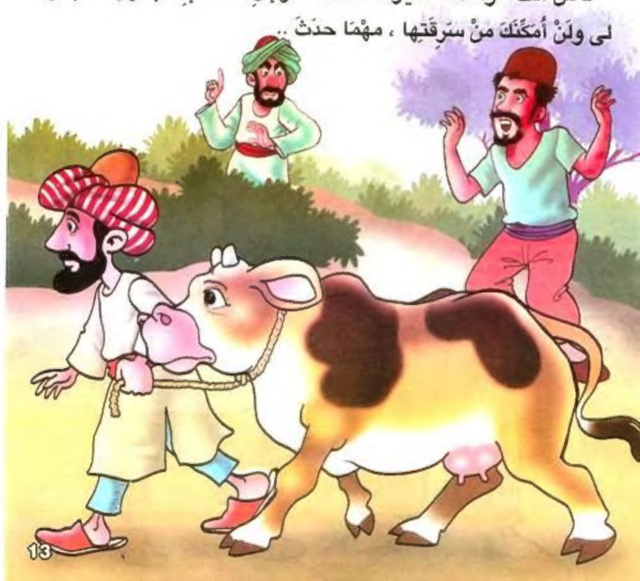


يُحْكَى أَنَّ رجُلاً اشْتَرى بقَرةً حَلوبًا مِنَ السُّوقِ ، فانْطلَقَ بها يقودُهَا إلى بيْتِهِ ..

وفى أَثْنَاءِ سَيْرِه فى الطَّرِيقِ رآهُ لِصٌّ ، فسَارَ خَلْفَهُ وقدْ قَرَّرَ سَرِقَةَ الْبقَرةِ بأَىِّ شَكْلٍ ..

وبعْدَ قليلٍ انْضَمَّ إلى اللِّصِّ رجُلٌ ، وسارَ خلْفَ صاحبِ الْبقَرةِ يتْبَعُهُ عنْ قُرْبٍ .. فلمَّا رآهُ اللِّصُّ ظنَّهُ لِصًّا آخرَ جاءَ يسْرِقُ الْبقَرةَ ، أَوْ يشارِكُهُ فى سَرِقَتِها ، فغضِبَ غضَبًا شَديدًا واسْتَوْقَفَهُ قائِلاً :

ـ مَنْ أَنتَ ؟ ولماذا تسيرُ خلْفَ هذا الرَّجُلِ صاحبِ الْبقَرةِ ؟! الْبقَرةُ لى ولَنْ أُمَكِّنَكَ منْ سَرِقَتِها ، مهْمَا حدَثَ ..



فقالَ الرجلُ الآخَرُ :

- لا شأنَ لى بالْبَقَرةِ .. أنا قاطعُ طَريقٍ مُحْتَرِفٌ ، وقدْ كلَّفَنى أعْداءُ هذا الرَّجُلِ باخْتِطافِهِ وإحْضَارِهِ مُكَبَّلاً ، لأَنَّ لهمْ ثأْرًا عِنْدَهُ ، ويرُيدونَ أَنْ يقْتَصُّوا منْه .. فمنْ أنتَ ؟!

فقالَ اللِّصُّ :

أَنا لِصٌّ مُحْتَرِفُ سَرِقَةِ الْماشِيَةِ ، وأَتْبَعُ هذا الرَّجُلَ إلَى مَنْزِلِهِ لأُغافِلَهُ وأَسرِقَ بقَرَتَهُ .. فقالَ قاطعُ الطَّريقِ :

- عِنْدى حَلٌّ يُرْضِينى ويُرْضيكَ ، حتى يَفُوزَ كُلٌّ مِنَّا بصَيْدِهِ .. ننتَظِرُ حتى يَحِلَّ اللَّيْلُ ويعُمَّ الظَّلامُ ، فندْخُلُ إلى مَنْزِلِ ذلكَ الرَّجُلِ فآخُذُه أنا وتأْخُذُ أنْتَ الْبقَرَةَ ..



فقالَ اللصُّ :

ـ هذا حلٌّ يُرْضِي جميعَ الأَطْرافِ .. اتَّفَقْنا ..

ربطَ الرجُلُ بقَرَتَهُ فى ركْنِ الْمنزلِ ووضَعَ لها الطَّعامَ .. وعِنْدَما حلَّ اللّيْلُ تعَشَّى هوَ ونَامَ ..

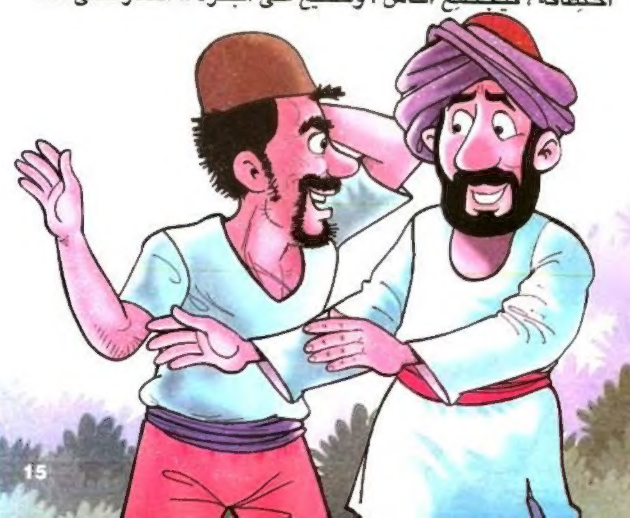
وبعْدَ قليلٍ دخلَ اللصُّ وقاطعُ الطَّريقِ ، ووقَفا يتناقَشان ، فاخْتَلفا علىَ مَنْ منْهُما يَبْدأُ عَملَهُ أوَّلاً ، فقالَ قاطعُ الطريقِ :

ـ إذا أَنْتَ بدأْتَ بسَرقَةِ الْبقرةِ ، فقدْ يسْتَيْقِظُ الرجُلُ ويصيحُ ، فيجْتَمعُ الناسُ ولا أتمكَّنُ مِنَ اخْتِطافِهِ ..

انْتَظِرْ حتى آخُذَهُ وأهْرُبَ ، ثمَّ خُذِ الْبقَرَةَ ، أَو خُذِ الْبَيْتَ كلَّهُ إنْ شِئْتَ ..

وقالَ اللصُّ :

ـ ومَنْ يضْمَنُ لى أَنَّ الرجُلَ لنْ يستَيْقِظَ ويصيحَ ، إذا حاولْتَ أَنْتَ اخْتِطافَهُ ، فيجْتَمِعَ الناسُ ، وتضيعَ علىَّ الْبقَرةُ .. انتظرْ حتى آخُذَ



الْبقَرةَ ، ثمَّ افعَلْ ما تريدُ ..

وظلَّ الْغَبيَّانِ يتناقشانِ ويتجَادلانِ ، حتى عَلاَ صوْتُ كُلّ منهُمَا ، فنادَى اللصُّ الرجُلَ قائلاً :

- أَيُّهـا النَّائِمُ ، اسْتَـيْقِظْ لأَنَّ هذا الرجُلَ يريدُ اخْتِطافَكَ وتقْـديمَكَ لأَعْدائِكَ ، حتى يثْأَروا مِنْكَ ..

وقالَ قاطعُ الطريقِ :

- اسْتَيْقظْ أَيُّها الرجُلُ ، لأَنَّ هذا اللِّصَّ يُريدُ سَرِقَةَ بقَرَتِكَ .. فاسْتَيْقَظَ الرجُلُ واسْتَيْقَظَ جيرَانُهُ ، فأمْسَكوا باللصِّ وقاطع الطريقِ ، وقادُوهُمَا إلى الشُّرْطَةِ لينَالاَ جزاءَهُمَا ..

وهكَذا نجَا الرجُلُ الْمِسْكِينُ ونجَتْ بقَرتُهُ بسَببِ غباءِ اللصِّ وقَاطعِ الطَّريقِ ..

(تمَّتْ)



رقم الإيداع : ٢٣ - ١٤٥ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى : ٢ - ٦٦٤ - ٢٦٦ - ٩٧٧